رأي القدس

اساءات البابا للاسلام ورسوله

■ تتوالى الهجمات التي تستهدف العقيدة الاسلامية واتباعها الكثر الذين يزيدون عن المليار ونصف المليار، وينتشرون في مختلف اصقاع العالم. بعض هذه الهجمات متعمد، وبعضها عفوي ناتج عن جهل، وفي الحالين يكون ضررها كبيراً وخطيراً، يؤدي الى توتير العلاقات وربما سقوط قتلى ابرياء بالعشرات او المئات او حتى الآلاف.

وما كاد العالم الاسلامي يتجاوز اهانة الرسوم الكارتونية المسيئة التي نشرتها صحيفة دانماركية حتى يخرج علينا البابا بنديكت السادس عشر بتصريحات جديدة تصب المزيد من الزيت على نار «الاسلاموفوبيا» التي تنتشر حالياً مثل النار في الهشيم في مختلف انحاء العالم الغربي، واوروبا وامريكا على وجه الخصوص.

تهجمات البابا كانت اكثر اساءة من الرسوم الكارتونية، لانها تصدر عن اعلى مرجعية دينية مسيحية، ومن المفترض ان يكون صاحبها على درجة كبيرة من المعرفة والوعي، ويبشر بالتسامح بين الاديان السماوية، ويتجنب كل ما يمكن ان يسيء الى اتباع الديانات الاخرى بصورة مباشرة او غير مباشرة، خاصة في مثل هذا الوقت الذي تشهد فيه العلاقات بين العالم الاسلامي والغرب توتراً غير مسبوق بفعل الحروب التي تشنها الادارة الامريكية، بدفع الصهيونية المسيحية الانجيلية المتعصبة، في كل من العراق وافغانستان وتؤدي الى سقوط مئات الآلاف من القتلى والجرحى.

البابا كان واضحاً في هجومه على الاسلام والمسلمين، واختار عبارات واقتباسات تسيء الى هذه العقيدة بقسوة غير معهودة من شخص في مستواه، مثل قوله «ان ارادة الله لدى المسلمين ليست مرتبطة باي مقولات او حتى بالعقل» وكذلك «الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) نشر الاسلام بحد السيف والعنف». وبلغت هذه الاساءات ذروتها عندما اقتبس قول الامبراطور البيزنطي مانويل الثاني بان «كل ما جاء به النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) كان شراً وغير انساني».

ويصعب علينا ان نفهم او نتفهم هذا التهجم الصريح والمباشر من قبل البابا على الديانة الاسلامية ورسولها، وفي مثل هذا التوقيت بالذات، فالمرجعيات الدينية، وبغض النظر عن ديانتها يجب ان تدعو الى التسامح والتعايش، ونبذ العنف وتجنب توجيه اي اساءات للديانات الاخرى او انبيائها بصورة مباشرة او غير مباشرة، لان كلماتها محسوبة عليها، وقد تترجم الى اعمال عنف لدى اتباعها.

صحيح ان الفاتيكان سارع بالتوضيح والقول ان هذه الكلمات غير مقصودة، وان البابا اقتبس اقوالا للامبراطور البيزنطي، وان هذا الكلام المسيء للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لم يكن من اقواله شخصياً. ولكن هذا التوضيح، رغم اهميته، لا يخفي حقيقة الاساءة وضررها، ومسؤولية البابا الشخصية عنها.

فهناك العديد من الاقتباسات الجيدة، تماما مثلما هناك العديد من الاقوال السيئة والمسيئة، وكنا نتمنى لو ان البابا تجنب المسيء، واستخدم الجيد الذي يبني جسور المحبة والتعاون والتعايش بين الاديان جميعاً ومعتنقيها.

الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) جاء الى الانسانية بقيم العدل والمساواة والتسامح، ومكافحة العبودية والاستغلال، وانصاف الفقراء والمظلومين، ولهذا وجدت هذه القيم قبولاً واسعاً في مختلف انحاء العالم، واصبحت الديانة الاسلامية الاكثر انتشاراً في اوساط الامريكيين، والسود منهم على وجه الخصوص، لانها تقدم لهم ديانة اسلامية تساوي بين الجميع، وتتصدى للعنصرية البشعة، وتحقق الاطمئنان النفسي لمعتنقيها.

الاسلام لم ينتشر بحد السيف، وانما بالدعوة والموعظة الحسنة، ولم يكره احدا على اعتناقه، وهناك آيات قرآنية عديدة توضح هذه الحقائق، لا مجال هنا لذكرها، ولابد ان الخبراء في الفاتيكان يعرفونها، ومحاولة الربط بين الاسلام والعنف مثلما جاء في محاضرة البابا في المانيا، تخدم الجماعات المتطرفة في الجانبين الاسلامي والمسيحي، وتحرج المعتدلين في الديانتين الذين يحاولون مواجهة هذه الجماعات وتقليص اضرارها اذا لم يتأت منعها.

البابا بنديكت السادس عشر مطالب بالاعتذار للمسلمين عن هذه الاساءات، على ان يأتي هذا الاعتذار مباشراً وواضحاً، ومنه مباشرة، لا على لسان احد المتحدثين باسمه، لان ما نسب اليه امر على درجة كبيرة من الخطورة، ويمكن ان يصعّد من موجة الكراهية السائدة حالياً في اوساط بعض المتطرفين تجاه الاسلام والمسلمين، وهو ما يعرف حالياً بـ«الاسلاموفوبيا».

ولابد ان الرئيس الامريكي جورج بوش الذي يرفع راية التطرف المسيحي، ويخوض حروباً ضد الاسلام، ويصف المسلمين او بعضهم بالفاشية، ويستخدم تعبيرات «صليبية جديدة» لتبرير حروبه، سيكون الاكثر سعادة وبهجة بتصريحات البابا هذه لتبرير حروبه الارهابية وغير الانسانية في العراق وافغانستان وفلسطين ولبنان، وفي المستقبل القريب ضد ايران.

المناخ المحيط بالإعلان الصريح عن إمكانية اغتيال جمال مبارك!

خفايا الدورة الرابعة للحزب الوطني الحاكم الأسبوع المقبل

محمد عبدالحكم دياب *

■ تبدو السرية المحيطة بالاعداد للمؤتمر الرابع للحزب الحاكم في مصر تنبئ عن مفاجآت تتجاوز تأكيد مخطط «التوريث» المعتمد منذ فترة ليست بالقصيرة، وهو المخطط المرفوض سياسيا وشعبيا بصورة كاسحة على كافة المستويات، من جهة أخرى يبدو أن الخلاف وصل أشده بين الأطراف المتصارعة حول منصب الرئيس القادم لمصر، وهي في الحقيقة طرف واحد، هو «عائلة مبارك»، إلا أن دورة الأيام وحجم الأطماع جعل الأقربون أكثر تصارعا واستعجالا من الأبعدين، وبدأ حسني مبارك يقلق ويخاف من أقرب الناس إليه لإصرارهم على وراثته حيا. ويرى البعض أن التطرق لهذه التفاصيل الداخلية للصراع وكشفه بأنه تعرض للأشخاص، وليس نقدا للسياسات والتصرفات، وهذا غير صحيح، فالصراع وإن شابته أطماع شخصية وأسرية، لكنه صراع على تركة شعب وميراث أمة، أي أنه على شؤون عامة اختطفت وعمل البعض على تصويرها بأنها شأن خاص.

وإذا ما سلمنا بهذا المنطق، فنحن نقر بحرف الأمر عن مساره وإخراجه من سياقه، فما يجري تعبير عن أزمة حكم ومأزق حاكم، وليس أزمة عائلة أو مأزق فرد. في ظروف فراغ سلطة صنعه انتقال النظام الجمهوري الرئاسي المستقر إلى نمط أسري عشائري متخبط. وبدلا من تطوير حسني مبارك للنظام الرئاسي وتحويله إلى نظام برلماني، تتقلص فيه صلاحيات رئيس الدولة انتكس به وأعاد مصر قرونا إلى عصر أكثر سوءا من عصور المماليك. ومكمن الخطورة مصدره ما يترتب على تدمير الدولة وإحلال الأسرة محلها. والمعارك الدائرة الآن يقوم بها خط الدفاع الأخير للدولة عن وجودها، أملا في استرداد ما ضاع منها وهزيمة النمط الأسري العشائري في معركة يعتبر فيها هذا المؤتمر نقطة فاصلة ما بين النصر والهزيمة.

ورغم التكتم الشديد على الترتيبات فإنها تتخذ، لسريتها، شكل ومضمون المؤامرة، التي تزيد حكام مصر غربة وتعمق كراهية الشعب لحزبهم، ليصبح جديرا بحمل اسم الحزب الوطني «الأمريكاني»، فقد سبق انعقاده بأيام تدخل فج وتزكية مفضوحة من الرئيس الأمريكي لمخطط «التوريث»، بتأييد من أسماهم الشباب، وهو ما كان يتم السعي إليه من جانب حسني مبارك وابنه «الرئيس الموازي»، ويأتي هذا الانعقاد تثمينا للتأييد الأمريكي، واستكمالا للشكل الدستوري والقانوني المزيف، والمزين بكل أنواع الخداع والتدليس والكذب. وفي وقت بدت السياسة الأمريكية عارية تماما، ولم تجد غير «التوريث» بابا تواجه به تطورات متسارعة تتلاحق في مصر وخارجها. وتزكية جورج دبليو بوش لـ«النجل»، ويوسف بطرس غالي وزير الاقتصاد، ورشيد محمد رشيد وزير التجارة والصناعة، وباقي الجماعة القابضة على عنق الحكم، ذلك لأنهم الأكثر تفانيا في «امركة» المجهود السياسي والنشاط الاقتصادي والعمل الإعلامي والثقافي، فـ«النجل» «أمرك» السياسة، وغالي تولى المهمة في الاقتصاد، ورشيد نجح في «صهينة» الصناعة، باعتباره بطل الكويز، والتأهيل الصناعي، الذي أدخل الخامات الصهيونية إلى المنتج المصري كشرط لتصديره وتسويقه في الولايات المتحدة، وبقيتهم ساروا على نفس الدرب في المجالات الأخرى!!.

وتأكد لأغلب المراقبين أن مؤتمر الحزب الحاكم يحمل وجها أمريكيا فجا، وحرص «النجل» على إبرازه بعدة سبل منها: دعوة ديفيد ولش، مساعد وزيرة الخارجية الأمريكية، لحضوره والمشاركة في جلساته ومداولاته، وإعداد أوراق المؤتمر ومشروعاته باللغة الانكليزية، لتيسير عملية تقديم أوراق الاعتماد المطلوبة لواشنطن ولندن وتل أبيب. ووضع قضية الأمن القوم المصري، من المنظور الامريكي المتطرف كأهم نقطة على جدول أعمال المؤتمر، والخروج بربط سافر ومباشر للأمن القومي المصري بالمجهود الأمريكي، باعتبار ذلك تطورا تراه الإدارة الأمريكية ضروريا لمواجهة التحولات والمتغيرات الناشئة عن الانتصار اللبناني على آلة الحرب الصهيونية، في أول مهمة تتولاها، بالأمر المباشر، لحساب الإدارة الأمريكية. وهو ما قلب موازين القوى العسكرية والاستراتيجية في المنطقة. ومع ذلك ليس من المتوقع أن تسير الأمور على الهوى المرتجى، لأسباب عديدة ترجح ذلك.

التأييد الأمريكي لـ«التوريث» لن يأتي أكله إلا بجراحة ديمقراطية «قيصرية».. تحتاج أن يطهر «الوريث» مطلوبا ومؤيدا من قطاعات لها وزن في ميزان القوى الداخلية، ونظرا لعدم توفر هذا، بجانب الغليان والتحفز المسيطر على مجمل القوى السياسية لاثبات حضورها الجماهيري، يجعل هذه الجراحة «القيصرية» محفوفة بالمخاطر. وتحتاج إلى ما هو أكبر من مهازل تعديلات المادة 76 وما لحقها من انتخابات العام الماضي، بصدام دام قد لا تتحمله الأجهزة الأمنية، هذه المرة، خاصة أن هناك نارا كامنة تحت رماد أحداث العام الماضي. فضلا عن أن هذه الجراحة تستوجب، للتخفيف من حدة الكراهية العامة ضد السياسة الأمريكية، تستوجب إطلاق سراح أيمن نور، رئيس حزب الغد المسجون، ولأنه ما زال يمثل خطرا على «النجل»، فإن هذا قد يدفع أجهزة الأمن إلى تصفيته جسديا، بمنع الدواء عنه وحرمانه من العلاج حتى يقضي نحبه داخل السجن، وسوابق التصفية الجسدية معروفة، مع سليمان خاطر ومحمود نور الدين.

وبالتجربة، ورغم التبعية المطلقة والمهينة لحكم مبارك، فإنه كثيرا ما تمكن من فرض أمر واقع لمصلحته، ينتهي بقبول الأمريكان بما قام به، حتى استقر في وعي الإدارة الأمريكية أن الوعود وبطش الأمن وتزييف القوانين للاحقة الإسلاميين والتضييق على القوى الوطنية والقومية والتعذيب. كلها «ضرورات وإجراءات» تتخذ لحماية المصالح الأمريكية، وبذلك أمن مكر الأمريكيين، فبقي الأب أو «النجل» طليقي اليدين حتى الماضي القريب. ومع ذلك تراجعت خطط وسيناريوهات كانت معدة لحسم «التوريث» قبل نهاية هذا العام، من أجل شغل «النجل»، رسميا، لمنصب نائب الرئيس الشاغر، كلها باءت بالفشل، واستبدلت بزحف منظم على المواقع القيادية في الحزب والدولة، إلى أن وصل «النجل»، من منازلهم، لمنصب الأمين العام المساعد. وبدت كل المحاولات غير كافية، للحد من المقاومة الشعبية العنيدة، وتفتق الذهن عن سيناريو آخر، في محاولة جديدة للالتفاف حول الرفض الشعبي العارم، بتعديلات دستورية تسمح بنقل جزء من صلاحيات رئيس الدولة إلى رئيس الوزراء، وتراعي التعديلات التمثل بالنموذج التونسي، بأن يحل رئيس الوزراء، بدلا من رئيس مجلس الشعب المعمول به في مصر، محل رئيس الدولة في حالة الغياب أو العجز أو الوفاة، وبعد إقرار التعديلات يعين «النجل» رئيسا للوزراء، ليتعود الناس على تقاسم الحكم بين الأب و«النجل» إلى أن تنتقل إليه الرئاسة لاحقا، وكان من المقرر أن يتم ذلك بعد انتهاء أعمال هذا المؤتمر، ومع عودة مجلس الشعب من عطلته الصيفية. ليقر التعديلات المقترحة، بما فيها إلغاء المادة 88 التي تسمح باشراف القضاء على الانتخابات.

وتراجع هذا السيناريو، هو الآخر، بسبب الرعب الشديد الذي سيطر على حسني مبارك مؤخرا، ونشأ من استفحال خطر مجموعة «النجل»، الذين يتعجلون الوقت للتخلص من الأب، وتنصيب «النجل»، ومنازعتهم للأب على سلطانه وسلطاته، وبهذا انتقل الصراع على «الرئاسة» إلى داخل الأسرة، وهي معضلة كبرى.. تتفاقم يوما بعد يوم، وقد تهدد بحدوث انقلاب قصر، يتم بمقتضاه عزل حسني مبارك. وهذا سر، كما تشير أوثق المصادر، بذل الجهد الخارق، الذي يسعى من خلاله لاسترداد ما ضاع منه من سلطان وسلطة، لكن يبدو أن السن والصحة لا يسعفانه، ولن تغير مقابلاته الصحافية والإعلامية، ولا تصريحاته السياسية وغير السياسية العديدة من الأمر كثيرا!!.

وتأتي التطورات العربية والإقليمية لا لتصب في صالح الأب ولا لفائدة «النجل» فسقوط المشروع الأمريكي في العراق والهزيمة الوشيكة لقوات الاحتلال هناك، وترجيح إتمام انسحاب مهين يضعف أتباع وحلفاء محور الغزو الصهيو أنكلو أمريكي في مصر والمنطقة، وقد يفتح القمقم لمارد التغيير أو الثورة، التي أصبحت أكثر إلحاحا نتيجة أغلاق أبواب ونوافذ التداول السلمي للسلطة والتغيير الديمقراطي للحكم، أما الأهم فإن النموذج الأمريكي الذي كان مثلا وسندا، أصبح في مرمى نيران المقاومة المسلحة، ولم تبق له الهيبة التي كانت له في السابق، وهذا، ما حدا بالمحور السعودي المصري الأردني، الهزيل والضعيف، أن يبحث عن الأمان لدى الدولة الصهيونية، ولا يجد تغطية لضعفه وحماية لنفسه إلا تقديم التنازل تلو الآخر. وهو ما قد يغري الدولة الصهيونية بتنفيذ خطتها الجاهزة لإعادة احتلال سيناء، المفرغة من أي قدرة حقيقية للدفاع والحماية، وليس هناك من معوق إلا الخوف من تحول سيناء إلى «وزيرستان» مصرية، مثل نظيرتها الواقعة على الحدود الباكستانية الأفغانية، وإلى ملاذ آمن لتنظيم القاعدة والتنظيمات المماثلة، وكل هذا يحدث في وقت تشهد فيه القوات البريطانية، كجزء من قوات حلف شمال الأطلسي (الناتو)، المرابطة في أفغانستان، وضعا حرجا، واحتمال شبه مؤكد بهزيمتها، وآخر الأخبار أثناء كتابة هذه السطور أنها محاصرة من قوات طالبان، وتطلب النجدة من دول الحلف التي لم تسعفها، ونحن نعلم تأثير النموذج البريطاني على السياسة المصرية وعلى «النجل»، وكم كان سعيدا بموقف بلير وعدم استماعه إلى صوت الشعب البريطاني الذي خرج بالملايين رافضا للحرب على العراق والاحتلال في فلسطين، ومدينا لموقفه من لبنان مؤخرا، ورفضه لمساندته بوش في تعطيل وقف إطلاق النار، في لبنان، لمدة أربعة أسابيع على أمل أن تنجز الآلة العسكرية مهمتها في هزيمة المقاومة اللبنانية، وكان بلير في عدوانيته وعنصريته وعدوانه ضد العرب والمسلمين النموذج المثير لاعجاب «النجل»، لأنه كان يمنحه المبرر ليكون على شاكلته، ويعتبر سقوط بلير داخليا وفشله في زيارته للبنان نيابة عن سيد البيت الأبيض، ورفض اللبنانيين لزيارته بكل ما يترتب على ذلك من احتمالات الانكفاء وإعادة النظر في السياسة الخارجية البريطانية المصهينة، يعتبر كل ذلك سحبا للرصيد البريطاني المعتمد لدى «النجل».. يضعف من موقفه ويقلل من شأنه، وتبقى العوامل الداخلية، التي لا يرى لها «النجل» أهمية، هي الحاسمة بالنسبة لمستقبل الحكم في مصر، وما زال هناك الكثير الذي يمكن أن يقال على هذا الصعيد، خاصة بعد أن كتب النائب اليساري السابق أبو العز الحريري، في صحيفة «التجمع» من أيام عن إمكانية اغتيال جمال مبارك، فإلى لقاء آخر.

* كاتب من مصر يقيم في لندن

زيارة بلير لبيروت: بحث في جذر المشكلة قبل نتائجها

حكم البابا

■ تظاهرت جماهير قوى سياسية لبنانية عديدة احتجاجاً على زيارة رئيس الوزراء البريطاني توني بلير إلى بيروت، ومعهم حق فبلير ليس شريكا فقط في العدوان الاسرائيلي على لبنان، بل وفي الاحتلال الأمريكي للعراق، وربما لم يمر ساكن على 10 داوننغ ستريت إلاّ وبلل يديه بدماء العرب ـ بطريقة من الطرق ـ منذ وعد بلفور وحتى اليوم، لكن أليس من الأجدى قبل أن نعتب على بلير وغيره من قادة الدول الغربية ونطالبهم بالوقوف في صف العرب أو تبني قضاياهم، أن نطلب من العرب أنفسهم ذلك؟

أكثر التبريرات العربية راحة هي نعت بلير وبوش وغيرهما بأنهم يخدمون السياسة الاسرائيلية في المنطقة، وأن سياساتهم في المنطقة العربية خاضعة لتأثير اللوبيات اليهودية في بلدانهم، وأكثرها سهولة هي إلقاء تبعات كل تقصير عربي (بدءاً بالسياسات العليا لدول الغرب التي تتحكم بمصير العرب، وانتهاء بتبرير رسوب طالب عربي كسول يدرس في الغرب بالبحث عن جذور يهودية لمدرسيه) على النفوذ اليهودي المتغلغل في دوائر صنع القرار في الغرب، فذريعة اسرائيل ولوبياتها كافية لسد كل حلق، وإخفاء أي تقصير، وإخراس كل انتقاد، وأكثر هذه التبريرات سذاجة تتمثل في الخطاب المدرسي لنوع من العروبة الغبية الذي يرى بأن اللوبيات اليهودية صاحبة النفوذ في الغرب استطاعت اقناعه بغرس خنجر اسرائيل في قلب الوطن العربي لمنع تقدمه وتنميته ووحدته (وكأن العرب لم يكونوا مفتتين حينها، وينتقلون بين الاحتلال العثماني والاستعمار الغربي والاستبداد الوطني)، وكانوا قرب قوسين أو أدنى من مرحلة تخصيب اليورانيوم، أو يضعون أقدامهم على سلّم المركبة الفضائية التي ستقلهم إلى القمر، أو توصلوا لاكتشاف أكسير الحياة وسرّ الخلود، فجاء الغرب وفي هذه اللحظة النهضوية من تاريخهم وخلق دولة اسرائيل ليمنع تقدمهم، أو أن الغرب أحب اليهود من أول نظرة وقرر إقطاعهم جزءاً من الأرض العربية كرمى لسواد عيونهم، أو كأن للغرب ثأرا «بايت» مع العرب وقرر أخذه بإنشاء دولة اسرائيل.

ولو سلمنا بأي من هذه السيناريوهات التآمرية أو العاطفية أو الثأرية التي تقف خلف كل الاخفاقات العربية منذ قيام دولة اسرائيل حتى اليوم، فلماذا لم يستطع العرب الموجودون في الدول الغربية التحول على الأقل إلى كتلة قادرة على حماية أفرادها من تهم الارهاب التي طالتهم جميعاً بعد أحداث 11 أيلول، لمجرد كونهم ينتمون بالاسم أو بالولادة أو بالدين أو بالأصول إلى المنطقة العربية، فضلاً عن تأسيسهم للوبيات مؤثرة وفاعلة في سياسات الدول الغربية التي يملكون فيها جاليات ربما تكون الأكبر، ولديهم الثروات الطبيعية والأموال والجغرافيا الاستثنائية والطاقات البشرية، في حين تمكنت اللوبيات اليهودية (المكونة من مجموعة فارين من المحارق النازية وسكان الغيتوهات المغلقة) عبر مجموعات ضغطها في تلك الدول من إنشاء دولة لا أساس لها إلا في الأساطير والكتب، والحصول على دعم وتأييد هذه الدول في كل المراحل والظروف لسياستها العدوانية وحروبها التدميرية؟

هل يجرؤ أحد من العرب الإقرار بأن السبب الحقيقي لعدم وجود لوبي عربي فاعل ومؤثر في سياسات الدول الغربية، يكمن في كون جالياتهم في تلك البلدان تتشكل في غالبيتها من مجموعة مواطنين فروا من أنظمتهم بسبب الاضطهاد السياسي، أو هرباً من سوء الأوضاع الاقتصادية، وأن هؤلاء لن يدافعوا عن أنظمة احتكرت السياسة ومنعتها عنهم واضطهدتهم وأفقرتهم، ولن يشكلوا لوبيات ليزداد نفوذها وتتضاعف ثرواتها ويتوارث أبناؤها حكمهم، هذا إذا لم يتحولوا إلى مجموعات معارضة تستقوي بالغرب على الأنظمة التي شردتهم، وأنه بدون أن يشعر العربي بأنه يعيش حياته كلها كمواطن لا مجرد هتّيف دائم في مسيرة تأييد مستمرة لسلطاته، وبأن جثة الاسرائيلي لا تبادل بألف سجين عربي حي، وبأن صحفه تصدر في بلاده، ولا يهاجر صحافيوها إلى عواصم الغرب لاصدارها وكتابة مقالاتها، وبدون أن يتحول العرب من عرب مقسمي الولاءات بين أمريكا والاتحاد السوفييتي (سابقا) وإيران، إلى عرب فلسطين والعراق وسورية ومصر والسعودية ولبنان، لن يتشكل لوبي عربي يضغط على دوائر صنع القرار في الغرب، ويستطيع التأثير في سياساتها. وأننا سنبقى نتظاهر ونعترض ونندد ونستنكر وندين ونشجب سياسة بلير وبوش وسواهما إلى أبد الآبدين، دون أن يكون لاعتراضاتنا أي تأثير على رؤيتهم الاسرائيلية للمنطقة العربية، ما داموا يعرفون أن الصوت العربي في بلداننا أو بلدانهم لا يشكل وزناً في صناديق انتخاباتهم، ولايستطيع أن يقف في وجه مصالح شركاتهم الاقتصادية، ولا يملك القدرة على منع النفط أو الغاز أو أي ثروة من ثروات البلدان العربية عنهم.

تغير الموقف المجتمعي من اعتقال المرأة العراقية

هيفاء زنكنة *

■ تم يوم أمس اطلاق سراح الكاتبة والصحافية كلشان البياتي بعد ان أصدرعدد من المنظمات والهيئات العراقية المستقلة، من بينها هيئة إرادة المرأة، عضو المؤتمر التأسيسي العراقي الوطني، البيانات والتصريحات المنددة باعتقالها في الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) الجاري من داخل بيتها في مدينة تكريت. وقد طالب بيان الهيئة باطلاق سراح الصحافية، مراسلة صحيفة الحياة الصادرة في لندن، فورا وبغض النظر عن اسباب الاعتقال: (أولا، احتراما لمبدأ حرية التعبير عن الرأي. وثانياً، لأنها ناشطة وطنية ووسيلتها الكلمة. وثالثاً، لأنها امرأة لا يجوز اعتقالها إلا بتهمة جنائية وبعد أن تثبت التهمة الجنائية ضدها). وقد ذكرت وكالة الانباء الفرنسية، نقلا عن مصدر عراقي رسمي، بان (كلشان اعتقلت بتهمة تقديم مساعدة للمسلحين في منطقة تكريت، واوضح مصدر في المكتب الاعلامي التابع لمحافظة صلاح الدين ان قوة امنية دهمت ليلا منزل الصحافية فاعتقلتها مع شقيقها نجاد البياتي. وان القوة صادرت اجهزة كمبيوتر وسيارة حديثة واشار الى ان السيارة تستخدم في عمليات يشنها مسلحون ضد القوات العراقية في المنطقة).

تدل الحملة السريعة والمكثفة التي شنت للتنديد باعتقال البياتي والمطالبة باطلاق سراحها الفوري بان اعتقال المرأة من قبل قوات الاحتلال لم يعد امرا مسكوتا عليه. واذا كان كان العامان الاوليان من الاحتلال قد تميزا بالصمت المجتمعي المحيط باعتقال المرأة العراقية فان العام الاخير قد شهد تغيرا تدريجيا ملحوظا في التعامل مع القضية. وقد وصل الصمت في بعض الحالات، سابقا، حد انتقال عائلة المعتقلة من بيتها ومنطقتها الى مكان آخر، حماية للمرأة ولبقية افراد العائلة من احتمال الملاحقة مستقبلا، أو تجنبا للفضيحة وتسترا على ماحدث اثناء الاعتقال كما تم في حالات قليلة موثقة قتل المرأة غسلا للعاربعد اطلاق سراحها.

واعني بالمعتقلة هنا المعتقلة لاسباب أمنية حسب المصطلح الامريكي المستخدم في البيانات والتصريحات الرسمية لقوات الاحتلال. وهو مصطلح مطاط يمكن ان يتحول، حسب حاجة المحتل، الى مصطلح (الارهابية) او (الانتحارية) أو (المحرضة على الارهاب) أو (تقديم مساعدة للمسلحين) كما في حالة كلشان البياتي.

وقد لا تكون كل حالات الاعتقال واضحة الملامح كما في حالة البياتي لكونها صحافية معروفة، الا ان التغير التدريجي والجوهري تجاه المرأة المعتقلة، بدا واضحا ازاء كل المعتقلات تعسفيا، من خلال متابعة عمل بعض الهيئات والمنظمات الاسلامية المناهضة للاحتلال والداعمة للمقاومة خاصة، فضلا عن المنظمات والهيئات الاعلامية المستقلة وكل الناشطين في مجال الاعلام الالكتروني، فضلا عن المواقع الحيوية ذات التواصل المباشر مع ابناء الشعب. حيث تحولت قضية المعتقلة لاسباب أمنية من امر مسكوت عنه «عيب يتطلب الستر» الى قضية تستدعي التنبيه الفوري حماية لحياتها وحرصا عليها لئلا يمسها مكروه ومن ثم الدفاع عن كرامتها والاعتزاز بمواقفها حياتيا ومهنيا. وهو تغير مواز لازدياد وتصاعد حملات المداهمة والاعتقال التعسفي المستهدف لها من قبل سلطات الاحتلال وصمت المتعاونين معه، بضمنهم بعض المنظمات النسوية اليسارية والاسلامية معا. مما يعيدنا الى التقسيم السياسي والاخلاقي الواضح في العراق منذ احتلاله. حيث يقف معسكر الاحتلال من جهة والمعسكر المناهض للاحتلال من جهة ثانية.

وقد بدا التغيرالتدريجي بعد فضيحة جرائم ابو غريب وشروع عدد من المعتقلين الذكور بالحديث علانية عن الانتهاكات المهينة وبضمنها الجنسية التي تعرضوا لها، كما اسس المعتقل السابق في ابو غريب حاج علي منظمة للدفاع عن المعتقلين في سجون الاحتلال. هذا لايعني ان المعتقلات جميعا يتبرعن بالحديث عما يتعرض له لان جروح الاعتقال والتعذيب النفسي عميقة تهز صميم الانسان ولا تشفى خلال ايام الا ان التغيرات مشجعة. كما ان نقل محنة الاعتقال من المستوى الشخصي الى العام وربطها بنضال الشعب ومقاومته للاحتلال حرر الناس من الاحساس بالاذلال المرتبط ضمنيا بالوجود في المعتقل. فاكتسب فعل مقاومة المحتل والاعتزاز بالحرية والحرص على وحدة وكيان الوطن والاهل قوة طهرانية تتجاوزحدود الاعتقال وانتهاكاته المشينة. لترسخ، بشكل لايتطرق اليه الشك، بان جوهر النظرة الى المعتقلة يجب ان يكون باتجاه تحميل سلطات الاحتلال مسؤولية ما يجري لها وعدم تحميلها الذنب والعار بسبب جرائم الاحتلال.

والملاحظ ان هذا الموقف لتجنيد القوى لمناصرتها في محنتها والاعتزاز بها وبحضورها يتم باساليب متعددة مثل الحملات المطالبة بالافراج عنها فور اعتقالها او الاضراب لصالحها احتجاجا، كما في حالة الطبيبة سناء البدري التي اعتقلت لانها احتجت على سرقة قوات الاحتلال لمصاغها اثناء مداهمتهم بيتها، او التهديد بالاضراب او المظاهرات كما في حالة الشابة سارة الجميلي من الفلوجة، او اصدار البيانات المستهجنة وبلهجات تراوح ما بين الاعتزاز بالدين ومساءلة قوات الاحتلال عن وعودهم بشأن الحرية وحقوق الانسان، كما يفعل قسم الثقافة والاعلام في هيئة علماء المسلمين حالما يصله خبر اعتقال امرأة، كما حدث يوم أمس، اذ أصدر القسم تصريحا صحافيا استنكر فيه قيام قوات الاحتلال الامريكي باعتقال اربع نساء وقريب لهن من حي العامرية غرب بغداد اذ تمت مداهمة بيت المواطن محمود حماد مصطفى العاني في الساعة الثانية بعد منتصف الليل واعتقل مع والدته كريمة أحمد وزوجته هبة عبد الجبار وضيفتين واقتيد الجميع الى جهة مجهولة. وحملت الهيئة قوات الاحتلال الامريكي والحكومة مسؤولية هذه الاعمال البشعة والارهابية وطالبت باطلاق سراح المعتقلات فورا.

وقد صرحت، رئيسة لجنة المرأة والطفل في مجلس النواب سميرة الموسوي، أخيرا بأن عدد المعتقلات في السجون العراقية بلغ 231 معتقلة حسب آخر إحصائية لوزارة حقوق الإنسان، وان معظمهن محتجز بدون اجراء تحقيق معهن، وان اسباب الاعتقال لن تكون واضحة ما لم يتم التحقيق.

وقد حدث التغير المجتمعي تجاه المعتقلة من قبل الاحزاب والمنظمات والهيئات المناوئة والمقاومة للاحتلال بينما لم يحدث اي تغيير في الجهة الثانية اي سلطات الاحتلال والمتعاونين معها. فصار الاسراع بالاعلان عن اعتقال المرأة والقيام بكل ما هوممكن للعمل على اطلاق سراحها مقتصرا على المناهضين للاحتلال. فانتقلت قضية اعتقال المرأة والخوف عليها من السكوت على العيب حرصا على شرف العائلة والعشيرة وخوفا من الانتقام والاتهام بموالاة النظام السابق الى مستوى جديد للتعامل. وهو معاملة المرأة باعتبارها مواطنا عراقيا معرضا لجرائم الاحتلال وانتهاكاته، حالها حال الرجل. ما يميزها عن الاخرين اناثا وذكورا هو الموقف من الاحتلال وكيفية مقاومته.

وصار الدفاع عن حرية المرأة العراقية وحقها في الحياة الكريمة، جزءا من مقاومة الاحتلال، وتحقيقا عمليا لمساواتها في الحقوق والواجبات مع شريكها الرجل. وهو أمر يختلف تماما عن تشدق الاحزاب والمنظمات النسوية المتعاونة مع الاحتلال بحقوق المرأة وحريتها لفظيا في محترفات (بناء الديمقراطية)، بينما تنتهك حقوق المرأة بأقسى الاشكال يوميا. بدءا من الانتهاك الاقتصادي فقرا وحرمانا الى سوء الخدمات الصحية والتعليمية والبطالة واستجداء أبسط متطلبات الحياة، وفي معظم الاحيان، هذه الايام، فقدان حق الحياة نفسها نتيجة الخوف والترويع وقلة الامان.

* كاتبة من العراق

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم

الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان

رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741ـ0208 (6 خطوط)ـ
فاكس: 8902 741ـ0208 أو 7637 748ـ0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 770594(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 420 57364 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:* ***www.alquds.co.uk***
Cairo Office: 43 a Kasser Al Neel St, First Floor, Flat No (2).
Tel/Fax: (202) 3901523
Morocco Office: 80 Fal Ould Omeir Str. Flat No.7 - Rabat - Morocco
Tel/Fax: (212 37) 770594
Amman Office: Al Sahafa St. Badad Business Complex.
Tel/Fax: (9626) 5066089
Paris Office: Tel / Fax: (331) 420 57364

Al-Quds Al-Arabi
daily Independent News Paper
Published In London, New York and Frankfurt by Al Quds Al- Arabi Publishing LTD
Circulated in Europe, Middle East, North Africa and North America.
Editor In Chief
ABDEL BARRI ATWAN